بلاغة الحوار وأوجه الإقناع في الخطاب القرآني
قصة موسى في سورة الشعراء أنموذجا
THE RHETORIC OF DIALOGUE AND PERSUASION IN THE QUR'ANIC DISCOURSE.

الدكتور: الجيلالي بن فريحة Dr. Djilali BENFRIHA
المركز الجامعي – تيسمسيلت University Center - Tissemsilt
djabouilyes@gmail.com

Received*:** استلم: ***Accepted: قُبل للنشر:

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان بلاغة النص القرآني باعتباره الكلام المعجز من رب العالمين ولاسيما فيما يتعلق بلغة الحوار التي جاءت متعددة ومتنوعة في جنبات القرآن الكريم. وقد اخترت سورة الشعراء لما فيها من الحوارات المتعددة، وعلى رأسها حوار موسى عليه السلام وفرعون الذي استُهلت به السورة؛ فالخطاب –بكل أنماطه– يعد مجالا واسعا للحجاج، وهذا ما يجعله مرتبطا بالإشكالات التي تثيرها البلاغة ولسانيات الخطاب والتواصل ؛ لأن الهدف الأساسي للخطاب الحجاجي هو الوصول إلى إقناع السامع بفكرة معينة.

وبما أن الخطاب القرآني كان يحث الإنسان على إعمال عقله وطاقاته الإدراكية والشعورية، فقد بنى لغته على مختلف أنواع الحجج والبراهين العقلية والبلاغية ؛ ولذا يؤدي الإقناع دوراً رئيسياً وحيوياً في حياة أي فرد، التي تعتبر ميدانا للاتصال الذي يعد عملية إنسانية وحياتية ذات جانب اجتماعي ونفسي، لا تستقيم الحياة الاجتماعية وتكتمل إلاّ بها، ويأتي الإقناع ليضطلع بالدور الرئيس والمهم في الاتصال.

الكلمات المفتاحية: النص القرآني؛ الخطاب؛ الحوار؛ القصة القرآنية الإقناع؛ الحجاج.

Abstract:

This study aims to demonstrate the eloquence of the Quranic text as a speech miracle from the Lord of the Worlds, particularly with regard to the function of dialogue , which occurs in Quran with multiple and diverse facets. I have chosen Surat Ash-Shu'ara (Poets) because of the multiple dialogues that it contains, especially the dialogue of Moses (Peace be upon him) with Pharaoh at the beginning of the Surat. Discourse, in all its types, is a wide area of argumentation, and this is what relates it to the epistemological problems of rhetoric and discursive linguistics and communication; because the primary goal of the persuasive speech is to persuade the listener of a given idea .

Since the Quranic discourse incites the human being to use his mind and his cognitive and emotional energies, he builds his language on the different types of mental and rhetorical arguments and evidences. Therefore, Persuasion plays a key and vital role in the life of any individual, as being a wide field of communication with crucial social and psychological aspects .

Keywords: *Quranic text; discourse; dialogue; Quranic story, persuasion.*

المقدمــة:

تعود أهمية الحجاج في الدراسات الحديثة إلى العودة القويّة للبلاغة تحت تسمية البلاغة الجديدة، حيث ركّزت على جانبين هما البيان والحجاج كوسيلة أساسية من وسائل الإقناع. ولذلك يمكننا أن نعتبر الخطاب القرآني خطاباً حجاجياً لكونه جاء رداً على خطابات تعتمد عقائد ومناهج فاسدة، وهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة /الآية2]، فهو يطرح أمراً أساسياً ويتمثّل في عقيدة التّوحيد ويقدّم الحجج بمستويات مختلفة والمدعّمة لهذا الأمر ضدّ ما يعتقده المتلقون من مشركين وملحدين ومنكرين للنبوّة والمعاد ومجادلين. ولعلّ في اختلاف مستويات التّلقّي هذه ما يؤكّد الصفة الحجاجية للقرآن؛ لأنّها خاصيّة أساسية من خصائص الخطاب الإقناعي الذي يعرّفه الدّرس الحديث من الناحية الوظيفية من حيث إنّه موجّه للتّأثير على آراء وسلوك المخاطب [1].

كما تعددت أشكال الاهتمام بدراسة الخطـاب والإقناع عند العرب، فقاموا بدراسة نص الخطاب وما يرتبط بالمخاطِب وطريقة أدائه، والمخاطَب وطريقة تلقيه، ومطابقة الخطاب لمقتضى الظاهر ومخالفته، وغيرها من المسائل التي يجمعها موضـوع التداولية، وهي المبادئ التي تمثل التفكير التداولي اللغـوي عند العرب. [2].

الحوار في القرآن الكريم:

المتأمّل في آيات القرآن الكريم يجد أسلوباً متميزاً، ألا وهو أسلوب الحوار، الذي يوجد منه الكثير في آيات هذا الكتاب العزيز . ولاسيما في قصص الأنبياء التي يدور الحوار فيها بين الأنبياء وأقوامهم . جاء القرآن ليعرض الحوار بشكل متميز يسترعي الانتباه ويلفت الأنظار، ويترك للعقول المجال الواسع لاستنباط العبر والعظات من تلك المحاورات العديدة التي حفل بها القرآن العظيم، والتي جاءت في سور عدة في القرآن الكريم، وجاءت تلك المحاورات لتتحدث عن مواضيع مختلفة تهم الناس كافة.

وقد جرت تلك المحاورات بين أطراف متعددة، كلها تعطي لنا دروساً كثيرة هامة، وتشعرنا بأن هذا الأسلوب لم يأت به الله – عز وجل– منزل ذلك الكتاب عبثاً، بل لفائدة عظيمة جليلة، فنجد محاورات عدة في القرآن الكريم، منها

(1) ينظر: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص: 20.

(2) ينظر، في اللسانيات التداولية، ص: 139.

محاورات كان أحد طرفيها الله –عز وجل– كما حاور رب العزة الملائكة وإبليس، وجرت تلك المحاورات في بعض الأحيان على ألسنة الرسل مع أقوامهم، وعلى ألسنة المؤمنين مع الطواغيت، وغير ذلك من تلك المحاورات[1].

ولقد صوّرت القصة القرآنية واقع الشخصية، كما رسمت واقع الحياة، ولقد اشتمل القصص القرآني على ما لم يشتمل عليه غيره من التشويق، على الرغم من قيامه على الحق المطلق، ومن ثم تعددت أغراض القصة القرآنية، وجاء مغزى القصة ملائماً للهدف العام للقرآن. وهذا الهدف هو إصلاح حياة الإنسان بكافة جوانبها... وبذلك تكون حياة الإنسان في الكون ذات مغزى، وتستقيم نظرته للحياة وفلسفته في الكون.

ودراسة الشخصية وأنماطها ونماذجها المختلفة، ثم أبعاد هذه الشخصيات، وكيفية رسم القرآن لشخصيات قصصه، وارتباط الشخصيات بعناصر القصة الأخرى كالأحداث، والمكان والزمان، كل ذلك يمكّن من الوقوف على طريقة القصص القرآني في رسم الشخصية، كما أن القصة كانت من أقوى الوسائل في الدعوة. كل ذلك جعل الكاتب يكتب في هذا الميدان [2].

الإقناع:

يعرف الإقناع بأنه « صرف ذهن الجمهور إلى تقبل ما يقال، والسكون إليه، وإشباع عواطفه وإرضاء عقله بالحجة والبرهان، وما الاستمالة إلا كسب تأييد هذا الجمهور للقضية المعروضة، واستنتاجه لما يراد منه»[3]؛ فعلى المرسل (المقنِع) أن يمتلك كفاءة تواصلية و إقناعية لكسب تأييد المتلقين لرأيه وما يعرضه عليهم، وتميز هذه الكفاءة بالمهارات التالية[4]:

1. مهارة التحليل والابتكار.
2. مهارة التعبير والعرض المنظم للأفكار.
3. مهارة الضبط الانفعالي.

---

(1) ينظر: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص: 20.

(2)موقع إلكتروني: httpllkafoor.netlwep.content upcoods 2011 أطلع عليه يوم24 /10/ 2013 (تلخيص كتاب الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني.

(3) الخطابة في صدر الإسلام، ج1، ص: 01.

(4) آليات الإقناع في الخطاب القرآني سورة الشعراء أنموذجا . ص: 28.

4. مهارة فهم دوافع نقد الأخر.

غير أنّ موضوع الإقناع وإن كان هو فعل الصّورة الحجاجية، فإن الخطاب القرآني حقّق هذا الفعل بواسطة قوى أفعال الكلام المنجزة من خلال العبارات وما تحقّقه بدورها من آثار ونتائج مهما كانت صفتها، فإن إيقاعها يبقى إقناع الآخر، ليس من باب إحداث الغلبة لطرف على حساب الآخر ولكن من أجل الحوار والتواصل.

فالخطاب القرآني يحيلنا إلى وجود الآخر ومعرفته من خلال الحوار المعرفي الذي يحدّد نظرة الإسلام إلى الخلاف الفكري بأنّه مقولة تفتح كل مجالات التحاور والتواصل لا الصّراع والعداء ؛ لأنّ الله أراد من الإنسان المسلم أن يفكّر من أجل أن تنفتح عقول الآخرين على دين الفطرة، وجاء الإسلام من خلال القرآن ليكون دين الحوار الذي يطلق للفكر أن يفكر ويحاور الآخرين على أساس الحجّة والبرهان، وبذلك استطاع المسلمون أن ينفتحوا على العالم من خلال ممارسة قواعد الحوار التي علمهم إيّاها القرآن والمتمثّلة في طريقة المناظرة "ومعلوم أن هذه الطريقة التي شملت جميع دوائر المعرفة الإسلامية العربية تتبنى وظائف منطقية تأخذ بمبدأ الاشتراك مع الغير في طلب العلم وطلب العمل بالمعلوم، كما تنبني على قواعد أخلاقية تأخذ بمبدأ النفع المتعدّي إلى الغير[1].

بلاغة الخطاب في الحوارات التي تضمنها قصة موسى:

في قصة نبي الله موسى عليه السلام وفرعون من المواعظ والمواقف التربوية التعليمية ما يفيد الدعاة إلى الله، والتربويين، والسياسيين والإعلاميين، والعوام، والآباء والأمهات في حياتهم وفي وأداء رسالتهم على الوجه الأكمل. ففرعون ادعى الألوهية وطغى وتكبّر. ويرسل الله إليه رجلاً تربى في بيته قويًا أمينًا لا يطيق أن يرى المنكر ولا ينهى عنه أو يرى المعروف ولا يقوم به، فأمره ربه أن يتلطف مع فرعون، وأن يلين له القول ويبين له البراهين والأدلة على صدق سيدنا موسى عليه السلام ؛ ففرعون صاحب حضارة مادية فائقة التقدم، وللأسلوب العلمي مجال واسع في الحضارة الفرعونية ، لذلك استخدم سيدنا موسى الحوار العلمي والتجريب العملي وسيلة لدعوة فرعون.

(1) ينظر: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص: 20.

تعدّد ذكر قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم في سور مختلفة . وهي الأكثر تكرارا في القرآن الكريم . لما لها من أهمية بالغة في إرساء الدعوة إلى الله، جاءت بأسلوب متميز ومختلف من مقام إلى مقام. وكلما تكرّرت كانت أكثر وقعا وتأثيرا لمنكري الوحدانية.

جاءت قصة موسى عليه السلام في سورة الشعراء بعد الخطاب الذي كان موجها من الله عز وجل إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وهو الذي استهلت به السورة. ولما أراد سبحانه وتعالى أن يقوي عزيمة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في إبلاغ دعوته (رسالته) ذكر له الحوار الذي جرى بين موسى عليه السلام وفرعون أكبر طاغية عرفته البشرية بادعائه أنه هو الإله.

وقد جاء إيقاع آيات هذه السورة يتناغم أيضاً مع إيقاعات السور المكية الأُخرى، ونعلم أنّ السور المكية التي أنزلت في بداية دعوة الإسلام، تستند على بيان الأُصول الاعتقادية: التوحيد والميعاد، ودعوة أنبياء الله، وأهمية القرآن.

ويمكن تقسيم قصة موسى عليه السلام في هذه السورة إلى عدة أقسام:

1. **خطاب الله عز وجل لموسى عليه السلام:** [سورة الشعراء (26): الآيات 10 إلى 11]

﴿وَإِذْ نادى رَبُّكَ مُوسى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ (11) قالَ رَبِّ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسانِي فَأَرْسِلْ إِلى هارُونَ (13) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (14) قالَ كَلاَّ فَاذْهَبا بِآياتِنا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15) فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ (17)﴾.

كانت بداية الخطاب أن نعت قوم فرعون بالظلم نتيجة كفرهم وعنادهم . وهو حال كفار قريش مع الرسول صلى الله عليه وسلم . فسجل عليهم بالظلم ؛ لأنهم قوم ليسوا ببدع في الأمم، فقد كذّب موسى من قبلك رغم ماجاء به من الآيات الباهرات ؛ فجاء الخطاب « واذكر لقومك وقت ندائه تعالى موسى عليه السلام من جانب الطور الأيمن، وأمره له بالذهاب إلى أولئك القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي، والظالمين لبني إسرائيل باستعبادهم وذبح أبنائهم – قوم

فرعون ذي الجبروت والطغيان، والعتوّ والبهتان، ليكون لهم في ذلك عبرة لو تذكروا، فيرعووا عن غيهم، ويثوبوا إلى رشدهم، حتى لا يحيق بهم ما حاق بأولئك المكذبين من قبلهم، إذ ابتلعهم اليم وأغرقوا جميعا»[1].

وأما قوله: «﴿**أَلا يَتَّقُونَ**﴾ فقرئ (ألا يتقونِ) بكسر النون، بمعنى ألا يتقونني، فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة، وقوله: ﴿**أَلا يَتَّقُونَ**﴾ كلام مستأنف أتبعه تعالى إرساله إليهم للإنذار والتسجيل عليهم بالظلم، تعجيباً لموسى عليه السلام من حالهم (التي شفت) في الظلم والعسف، ومن أمنهم العواقب وقلة خوفهم (وحذرهم من أيام الله)، ويحتمل أن يكون ﴿**أَلا يَتَّقُونَ**﴾ حالاً من الضمير في ﴿**الظالمين**﴾ أي يظلمون غير متقين الله وعقابه، فأدخلت همزة الإنكار على الحال، ووجه ثالث وهو أن يكون المعنى ألا يا ناس اتقون، كقوله: ﴿**ألا يسجدوا**﴾ »[2].

وأمّا قوله «﴿**ولهم علي ذنب**﴾ أي تبعه ذنب فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أو باسمه مجازا بعلاقة السببية والمراد به قتل القبطي خباز فرعون...وتسميته ذنبا بحسب زعمهم بما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿**فأخاف**﴾ أن آتيهم وحدي أن يقتلون بسبب ذلك ومراده عليه السلام استدفاع البلية خوف فوات مصلحة الرسالة وانتشار أمرها »[3].

وذكر الطاهر بن عاشور « ﴿**مُسْتَمِعُونَ**﴾ فيها أشد مبالغة من: سامعون؛ لأن أصل الاستماع أنه تكلف السماع والتكلف كناية عن الاعتناء، فأريد هنا علم خاص بما يجري بينهما وبين فرعون وملئه وهو العلم الذي توافقه العناية واللطف.. .

والرسول: فعول بمعنى مفعل، أي: مرسل. والأصل فيه مطابقة موصوفه، بخلاف فعول بمعنى فاعل، فحقه عدم المطابقة سماعا، و فعول بمعنى اسم المفعول قليل في كلامهم ومنه: بقرة ذلول، وقولهم: صبوح، لما يشرب في الصباح،

(1) تفسير المراغي، المراغي أحمد مصطفى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، (1365هـ/ 1946 م)، 19 / 49، 50

(2) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي فخر الدين، دار الفكر، ط1، (1401هـ / 1981م)، 24/ 121.

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي شهاب الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان . ج19، ص: 66.

وغبوق، لما يشرب في العشي، والنشوق، لما ينشق من دواء ونحوه. ولكن رسول يجوز فيه أن يجرى مجرى المصدر فلا يطابق ما يجري عليه في تأنيث وما عدا الإفراد، وورد في كلامهم بالوجهين تارة ملازما الإفراد والتذكير كما في هذه الآية، وورد مطابقا كما في قوله تعالى: ﴿**فقولا إنا رسولا ربك**﴾ في سورة طه، فذهب الجوهري إلى أنه مشترك بين كونه اسما بمعنى مفعول وبين كونه اسم مصدر، ولم يجعله مصدرا ؛ إذ لا يعرف فعول مصدرا لغير الثلاثي.»[1]، فأراد الله سبحانه وتعالى لموسى وهارون البشارة بالإشارة إلى علو مكانتهما و اتّباع القوم لهما.

2. حوار فرعون لموسى عليه السلام: [سورة الشعراء (26): الآيات 18 إلى 24]

﴿قالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ (19) قالَ فَعَلْتُها إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ (22) قالَ فِرْعَوْنُ وَما رَبُّ الْعالَمِينَ (23) قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24)﴾.

فالانتقال من الآية 17 إلى الآية 18 فيه اختصار الزمن والمقصود فلما جاء موسى وهارون إلى فرعون قالا إنا رسول رب العالمين الذي لا إله إلا هو فأرسل معنا بني إسرائيل، حينها قال فرعون: كيف تدعوني إلى إلهك وأنا الذي ربيتك وأحسنت إليك؟

وقوله تعالى: ﴿ **قالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ (19)** ﴾، ففي الكلام حذف « يدل عليه المعنى تقديره: فأتيناه فبلغناه الرسالة، فقال فرعون لموسى

(1) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مج8، ج 19، ص: 109.

عندئذ: ألم نربك في منازلنا صبيا صغيرا ؟ قصد فرعون بهذا الكلام المنّ على موسى والاحتقار له كأنه يقول: ألست أنت الذي ربيناك صغيرا وأحسنّا إليك، فمتى كان هذا الأمر الذي تدّعيه ؟»[1].

وقوله ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ يعني: « قتله النفس التي قتل من القبط...وإنما قيل(وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ) لأنها مرة واحدة، ولا يجوز كسر الفاء إذا أريد بها هذا المعنى. وذُكر عن الشعبي أنه قرأ ذلك: " وَفَعَلْتَ فِعْلَتَكَ " بكسر الفاء، وهي قراءة لقراءة القرّاء من أهل الأمصار – مخالفة.

وقوله: (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: وأنت من الكافرين بالله على ديننا...وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأنت من الكافرين نعمتنا عليك...وقد قيل: معنى ذلك: وأنت الآن من الكافرين لنعمتي عليك، وتربيتي إياك.»[2].

وعندها « كانت رباطة جأش موسى وتوكّله على ربه باعثة له على الاعتراف بالفعلة وذكر ما نشأ عنها من خير له، على أنه حمد أثرها وإن كان قد اقترفها غير مقدِّر ما جرّته إليه من خير، فابتدأ بالإقرار بفعلته ليعلم فرعون أنه لم يجد لكلامه مدخل تأثير في نفس موسى »[3] ؛ ولأنه . حين فعلها . لم يبالِ بالعواقب أصلا.

3. حوار فرعون لملَئه: [سورة الشعراء (26): الآيات 25 إلى 28]

﴿قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ (25) قالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28) ﴾.

(1) صفوة التفاسير، الصابوني محمد علي، دار الحديث، القاهرة، ط10، (1997)، ج3، ص: 360.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري محمد بن جرير، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط2، 1420/ 2000، ج19، ص: 339، 340.

(3)التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت . لبنان . ط1، (1420/2000)، ص: 127.

وقوله تعالى: **قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25)** فقد «أعرض فرعون عن خطاب موسى واستثار نفوس الملأ من حوله وهم أهل مجلسه فاستفهمهم استفهام تعجب من حالهم كيف لم يستمعوا ما قاله موسى فنزلهم منزلة من لم يستمعه تهييجا لنفوسهم كي لا تتمكن منهم حجة موسى فسلط الاستفهام على نفي استماعهم كما تقدم»[1].

وقوله تعالى: **قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27)** سماه رسولا استهزاء وأضافه إلى المخاطبين استنكافا من نسبته له أي أن هذا الرسول لمجنون لا عقل له، أسأله عن شيء فيجيبني عن شيء، فلم يحفل موسى بسخرية فرعون وعاد إلى تأكيد الحجة بتعريف ثالث أوضح من الثاني **قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28)** ؛ أي إن كان لكم عقول أدركتم أن هذا لا يقدر عليه إلا رب العالمين، وهذا من أبلغ الحجج التي تقصم ظهر الباطل»[2].

فكان من التفات فرعون أنه ذكر تربية موسى عنده والإحسان إليه والتجاوز عن قتل القبطي ؛ ليبين استعطافه عليه، وهذا حتى يغير مجرى الحوار عن الهدف المقصود؛ ولكن موسى عليه السلام قدم رسالته بالحجج والبراهين، عندها عجز فرعون عن تقبل هذا الأمر واتهمه بالجنون ؛ لأنه لم يقبل ما سمع، وهذا هو ديدن المشركين على مر الأزمان ينعتون الموحدين (الرسل والأنبياء) بالجنون والسحر.

4. حوار فرعون مع موسى عليه السلام: [سورة الشعراء (26): الآيات 29 إلى 33]

﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33)﴾.

(1) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ص: 132.
(2) صفوة التفاسير، الصابوني محمد علي، ص: 361.

لما ذهل فرعون بالحجة (وهي أنه لا يمكنه التحكم في تصريف طلوع الشمس وغروبها) عاد إلى غيّه وجبروته، وحينها قال لموسى: «﴿**لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي**﴾ يقول: لئن أقررت بمعبود سواي ﴿**لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ**﴾ يقول: لأسجننك مع من في السجن من أهله.

والقول في تأويل قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) وَنزعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33)**﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى لفرعون لما عرفه ربه، وأنه رب المشرق والمغرب، ودعاه إلى عبادته وإخلاص الألوهية له، وأجابه فرعون بقوله: ﴿**لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ**﴾: أتجعلني من المسجونين: ﴿**أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ**﴾ يبين لك صدق ما أقول يا فرعون وحقيقة ما أدعوك إليه ؟ وإنما قال ذلك له، لأن من أخلاق الناس السكون للإنصاف، والإجابة إلى الحق بعد البيان ؛ فلما قال موسى له ما قال من ذلك، قال له فرعون: فأت بالشيء المبين حقيقة ما تقول، فإنا لن نسجنك حينئذ إن اتخذت إلها غيري إن كنت من الصادقين: يقول: إن كنت محقا فيما تقول، وصادقا فيما تصف وتخبر...وقوله(مُبِينٌ) يقول: يبين لفرعون والملأ من قومه أنه ثعبان. » [1].

وأما وجه الإقناع في قوله تعالى: ﴿**قالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31)** ﴾، أنه لما رأى موسى من فرعون التمسك بغيّه وجبروته قام باستدراجه إلى شيء يجعل الحوار مستمرا وفيه نوع من اللين، وهذا ما وصى به الله عز وجل موسى في أكثر من موضع ﴿ **فَقُولاَ لَهُ قَولاً لَيِّنا لعلَّه يتَذكَّرُ أو يخْشى(44)**﴾ [طه].

5. حوار فرعون مع ملَئه: [سورة الشعراء (26): الآيات 34 إلى 40]

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري محمد بن جرير، ج19، ص: 34، 345.

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (38) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (39) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (40) ﴾.

ويلتفت فرعون إلى ملَئه بغية إقناعهم على أن موسى ساحر وماهر في السحر، وقد استخدم الخطاب القرآني مؤكدين (إنّ، ولام التوكيد) للدلالة على ذلك، مع استمالتهم بأن موسى تعدى عليهم وظلمهم حتى يخرجهم من أرضهم،

وقد جاءت إهانته لقومه ظنّاً منه أنهم عبيده وهو ربهم الأعلى «أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذر منه وتوقعه وأحسّ به من جهة موسى عليه السلام وغلبته على ملكه وأرضه، وقوله: "إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ" قول باهت إذا غلب ومتمحل إذا لزم تَأْمُرُونَ من المؤامرة وهي المشاورة. أو من الأمر الذي هو ضدّ النهى: جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة.»[1]

ولما جاءه موسى « بعظيم قدرة الله وسلطانه حجة عليه لموسى بحقيقة ما دعاه إليه، وصدق ما أتاه به من عند ربه(لِلْمَلإِ حَوْلَهُ) يعني لأشراف قومه الذين كانوا حوله.(إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) يقول: إن موسى سحر عصاه حتى أراكموها ثعبانا(عَلِيمٌ)، يقول: ذو علم بالسحر وبصر به. ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾ يقول: يريد أن يخرج بني إسرائيل من أرضكم إلى الشام بقهره إياكم بالسحر. وإنما قال: يريد أن يخرجكم فجعل الخطاب للملإ حوله من القبط، والمعنيّ به بنو إسرائيل، لأن القبط كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل، واتخذوهم خدما لأنفسهم ومهانا، فلذلك قال لهم: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ﴾ وهو يريد: أن يخرج خدمكم وعبيدكم من أرض مصر إلى الشام. وإنما قلت معنى ذلك كذلك، لأن الله إنما أرسل موسى إلى فرعون يأمره بإرسال بني إسرائيل معه، فقال له ولأخيه: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

(1) الكشاف، الزمخشري، تح: أحمد عبد الموجود و محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، (1998/1418)..، ج3، ص: 310.

وقوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ يقول: فأي شيء تأمرون في أمر موسى وما به تشيرون من الرأي فيه؟ ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فأجاب فرعون الملأ حوله بأن قالوا له: أخِّر موسى وأخاه وأنظره، وابعث في بلادك وأمصار مصر حاشرين يحشرون إليك كل سحّار عليم بالسحر» [1]؛ فهموا بجمع السحرة جازمين بتفوُّقهم على موسى وهارون.

6. حوار فرعون للسحرة: [سورة الشعراء (26): الآيات 41 إلى 44]

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (41) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (42) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (43) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (44) ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (44)﴾؛ «أي بقوته التي يمتنع بها من الضيم من قولهم...والظاهر أن هذا قسم منهم بعزته عليه اللعنة على الغلبة...وقسمهم على ذلك لفرط اعتقادهم في أنفسهم وإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر وفي ذلك إرهاب لموسى عليه السلام بزعمهم، وعدلوا عن الخطاب إلى الغيبة في قولهم: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ تعظيما له.»[2]، بعدما حضر السحرة طلب منهم موسى إتيان سحرهم بقوله ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾، وفي كلامه استضعاف لعملهم ؛ أي إبدأوا بإلقاء ما تريدون فأنا لا أخشاكم، قالها ثقة بنصرة الله وتوسلا لإظهار الحق[3].

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج19، ص: 346.
(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي شهاب الدين، ج19، ص: 77، 78.
(3) ينظر: صفوة التفاسير، الصابوني محمد علي، ج2، ص: 363.

وجاء كلام موسى في ذلك الجمع «بإعادة فعل (قال) مفصولا بطريقة حكاية المحورات ؛ لأنه كان المقصود بالمحاورة إذ هم حضروا لأجله...وفي كلام موسى عليه السلام استخفاف بما سيلقونه ؛ لأنه عبر عنه بصيغة العموم، أي ما تستطيعون إلقاءه»[1] ؛ فكان ردّهم أنهم ألقوا مايملكون من عصي وحبال مقسمين بعزّة فرعون ظنّاً منهم أنهم ينتصرون.

7. **حوار السحرة لفرعون:** [سورة الشعراء (26): الآيات 47 إلى 51]

﴿ قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (48) قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (49) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (50) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (51) ﴾.

وهنا اعتراف واضح من السحرة بانهزامهم بمعية عزة فرعون، فخضعوا إذلالا لرب موسى وهارون بعدما رأوا الآيات عندها جاء جزاء فرعون لهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف تأديبا لهم ؛ لأنهم استسلموا لله عز وجل، «فقال فرعون للذين كانوا سحرته فآمنوا: آمنتم لموسى بأن ما جاء به حق قبل أن آذن لكم في الإيمان به. ﴿**إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ**﴾ يقول: إن موسى لرئيسكم في السحر، وهو الذي علّمكم، ولذلك آمنتم به. ﴿**فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ عند عقابي إياكم وبال ما فعلتم، وخطأ ما صنعتم من الإيمان به »[2]، أي أنكم تواطأتم على مافعلتم.

8. **حوار الله عز وجل لموسى عليه السلام:** [سورة الشعراء (26): الآيات 52 إلى 68]

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (52) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (56) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (59) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (60) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ

(1) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص: 139. 140.
(2) _ جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج19، ص: 348.

أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (68)﴾.

وفي نهاية القصة يختتم هذا الحوار بخطاب الله عز وجل لموسى عليه السلام والذي يبيّن مصير النجاة لعباده المؤمنين من بني إسرائيل وهلاك فرعون وجنوده بمعجزة عظيمة وهي شق طرق يابسة في البحر بالعصا، كانت أقوى دليل وحجة على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وعندها استسلم فرعون للأمر واعترف بأن الله عز وجل له القدرة المطلقة في تسيير الكون ؛ ولكن بعد فوات الأوان.

والملفت للنظر أن القصة بدأت بخطاب الله عز وجل لموسى عليه السلام وانتهت به كذلك، وكانت قدرته سبحانه وتعالى مصاحبة له في بدايتها ﴿**قالَ كَلاَّ فَاذْهَبا بِآياتِنا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ**﴾ ونهايتها ﴿**قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾، وهذا دليل أوضح على أن الله عز وجل أراد أن يبين للرسول صلى الله عليه وسلم أنه هو الناصر له والمعين في دعوته تجاه مشركي قريش.

يقول تعالى ذكره: فأرسل فرعون في المدائن حاشرين أي « يحشر له جنده وقومه ويقول لهم ﴿**إِنَّ هَؤُلاءِ**﴾ يعني بهؤلاء: بني إسرائيل﴿ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ يعني بالشرذمة: الطائفة والعصبة الباقية من عصب جبيرة، وشرذمة كل شيء: بقيته القليلة...وقيل: قليلون، لأن كل جماعة منهم كان يلزمها معنى القلة؛ فلما جمع جمع جماعاتهم قيل: قليلون...

وذكر أن الجماعة التي سماها فرعون شرذمة قليلين، كانوا ستّ مئة ألف وسبعين ألفا...

وقال في " حذر ": ورجل حذِر وحذُر (بكسر الذال وضمها) وحاذورة، وحذريان: متيقظ، شديد الحذر والفزع متحرز. وحاذر: متأهب معد، كأنه يحذر أن يفاجأ. والجمع " حذرون وحذارى ". وفي التنزيل: (وإنا لجميع حاذرون "، وقرئ " حذرون " و " حذرون ". الأخيرة بضم الذال، حكاه الأخفش. ومعنى " حاذرون " متأهبون، ومعنى " حذرون " خائفون. وقيل: معنى " حذرون " معدون. الأزهري. من قرأ ﴿**وإنا لجميع حاذرون**﴾ أي مستعدون. ومن قرأ " حذرون " فمعناه: إنا نخاف شرهم. وقال الفراء في معاني القرآن: "وقوله: "حاذرون، وحذرون: حدثني أبو

ليلى السجستاني، عن ابن جرير قاضي سجستان، أن ابن مسعود قرأ: ﴿**وإنا لجميع حاذرون**﴾. يقولون: مؤدون في السلاح. يقولون: ذوو أداة من السلاح. و "حذرون " وكأن الحاذر: الذي يحذرك الآن ؛ وكأن "الحذر": المخلوق حذرًا، لا تلقاه إلا حذرًا» [1] ؛ أي أنهم أقوياء أشدّاء.

خاتمة:

إن موضوع الحوار في القرآن الكريم من الموضوعات الهامة التي تدور أساساً على الإيمان بالله ورسله، وعلى وحدانيته وأحقيته بالعبادة دون غيره، والإيمان بالبعث والجزاء، وهذه العناصر الثلاثة من أهم قضايا القرآن الكريم، ولهذا كانت موضع جدل وحوار.

و دراسة الحوار في القصة القرآنية، وبيان طرقه، والوقوف على نماذج حوارية، وتحليل هذه النماذج، وإبراز مهمة الحوار، وأثره النفسي، ثم إبراز أهم الخصائص الفنية التي يتميز بها حوار القصة القرآنية... كل هذا وغيره يمكّن من الوقوف على ما في قصص القرآن من إعجاز.

فالقرآن الكريم بشموليته لم يترك لنا باباً إلاّ وقد تناوله بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة التي حاج بها خصومه في صورة جلية واضحة يدركها الداني والقاصي، الجاهل والمتعلم، العام والخاص، معطلاً كل شبهة، بأسلوب واضح وتركيب سليم لا يحتاج إلى إعمال الذهن في المسألة المطروحة، لأنه يذكر لنا الحقائق ويقررها بوضوح فيلمسها الإنسان بنفسه دون عناء.

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، ج 19، ص: 35.1.

قائمة المصادر والمراجع:

1. آليات الإقناع في الخطاب القرآني سورة الشعراء أنموذجا . دراسة حجاجية، رسالة ماجستير، إعداد: هشام بلخير، كلية الاداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية: (2012-2011/1433-1432).

2. تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمن، الدار البيضاء، المركز الثقافي، ط2، (د.ت).

3. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت . لبنان . ط1، (2000/1420).

4. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي فخر الدين، دار الفكر، ط1، (1401هـ / 1981م).

5. تفسير المراغي، المراغي أحمد مصطفى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، (1365هـ/ 1946 م).

6. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري محمد بن جرير، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط2، (1420/ 2000).

7. الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني، د. عبد المرضي زكريا، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط1، (1997).

8. الخطابة في صدر الإسلام، محمد طاهر درويش، مؤسسة حورس الدولية، (1964).

9. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي شهاب الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان .

10. صفوة التفاسير، الصابوني محمد علي، دار الحديث، القاهرة، ط10، (1997).

11. فنون الحوار والإقناع، ديماس محمد راشد، دار ابن حزم، ط1، (1420 /1999).

12. الكشاف، الزمخشري، تح: أحمد عبد الموجود ومحمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، (1418/1998).